الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مشروع البحث التكويني الجامعي PRFU :
التأسيس والتجريب في السرديات الجزائرية: القصة القصيرة والمسرديات أنموذجا
المعتمد تحت رقم: 01L01UN280120220004 بجامعة المسيلة

شهادة مشاركة

يشهد رئيس الملتقى الوطني: **القصة القصيرة في الجزائر** (مستويات الخطاب السردي وتطور المتن القصصي القصير في فترة السبعينات والثمانينات)، المنعقد بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة يوم: 30 أفريل 2024، أن الدكتور:

هشام صيداغين

قد شارك في فعالياته بمداخلة علمية تحت عنوان: **عن الغربة والشتات في المجموعة القصصية (أسماك المي المتوحش) لواسيني الأعرج**

ونغتنم هذه الفرصة لنتقدم إليه بأرقى عبارات الشكر والتقدير لمساهمته الفعالة والقيمة.

رئيس الملتقى

الدكتور: عزوز خنير

نائب العميد المكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
نائب العميد المكلف بما بعد التدرج و البحث العلمي و العلاقات الخارجيه
كلية الآداب و اللغات

نائب عميد مكلف بما بعد التدرج
و البحث العلمي والعلاقات الخارجية
أ: سليماه كمال

المسيلة، في: 30 أفريل 2024

www.univ-msila.dz

Scanned with ACE Scanner

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
مخبر الشعرية الجزائرية

مشروع البحث التكويني الجامعي PRFU:
التأسيس والتجريب في السرديات الجزائرية: القصة القصيرة والمسرديات أنموذجا
المعتمد تحت رقم: L01L01UN280120220004 بجامعة المسيلة

برنامج الملتقى الوطني

القصة القصيرة في الجزائر

(مستويات الخطاب السردي وتطور المتن القصصي القصير في فترة السبعينات والثمانينات)

30 أفريل 2024

الافتتاح الرسمي 9.30

آيات بينات من الذكر الحكيم
النشيد الوطني
كلمة السيد رئيس الملتقى: أ.د. ختيم عزوز
كلمة السيد مدير الجامعة أ.د. عمار بودلاعة وإعلان الافتتاح.

محاضرة افتتاحية:

– أ.د علاوة كوسة (المركز الجامعي بريكة):
القصة القصيرة الجزائرية: من وإلى أين؟

تكريم الأستاذة الدكتورة: هداية مرزق

قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية د. سرايش الطاهر)

بمساهمة

www.univ-msila.dz

الجلسة العامة الأولى

– د. حكيم دهيمي (جامعة المسيلة): دور القصة القصيرة في بناء الوعي الاشتراكي في مجتمع ما بعد الاستقلال- المنطلق والغاية دراسة نماذج قصصية لمرحلة السبعينات.
– د. عليمة حمزاوي (جامعة خنشلة): نقد القصة القصيرة في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر- من القراءة السياقية إلى الإجراء النسقي.-
– د. نور الهدى حلاب (جامعة المسيلة): الأنساق الثقافية المضمرة في القصة القصيرة الجزائرية-نماذج مختارة-
– د. موسى عالم (جامعة بجاية): شعرية السخرية في قصص السعيد بوطاجين ، مجموعة (اللعنة عليكم جميعا) أنموذجا.
– أ.د. عباس بن يحيى (جامعة المسيلة): القصة الجزائرية القصيرة المكتوبة بالفرنسية: تعثر النشأة واضطراب المآلات.

الورشة الأولى (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية) الجلسة الأولى

– أ.د. عبد العزيز بوشلالق (جامعة المسيلة): مواكبة القصة الجزائرية القصيرة للنضال السياسي
– د. الطاهر مسيلي (جامعة بجاية): البنية الفنية والرؤية الفكرية في قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) للطاهر وطار
– د. أحمد رية (جامعة باتنة): معالم الفكر الأيديولوجي والتربوي في المجموعة القصصية (نماذج بشرية) لأحمد رضا حوحو
– مليكة دغبوش- د. جمعة لبيض (جامعة تبسة): النزعة الأيديولوجية ورحلة البحث عن الذات في القصة القصيرة " حداد النوارس البيضاء" أنموذجا.
– د. هريدة نوي (جامعة باتنة): تيمة الثورة وملامح البعد الأيديولوجي في نصوص القصة القصيرة الجزائرية.
– د. لزهر ساكر (جامعة المسيلة): دينامية البنية القصصية في مجموعة (الصعود نحو الأسفل) للحبيب السايح
– د. آمال نميسي (جامعة عنابة): المتخيّل الثقافي والتّجريب في أدب القصّة بالجزائر ساعة مع حمار الحكيم نموذجًا

الورشة الأولى (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية) الجلسة الثانية

– د. البشير بختي (جامعة المسيلة): الواقعية المحلية في قصة (الظلال الممتدة) لزهور ونيسي وقصة (راشا) لعمار بلحسن وقصة (أطلقوا النار على الكلمات) لعبد الحميد بن هدوقة
– د. مولود قاني (جامعة المسيلة): القصة الجزائرية القصيرة في فترة السبعينات والثمانينات بين هاجس الثورة والالتزام ونزعة الانفتاح والتجريب
– د. سهام خينوش (جامعة سطيف): قضية الهجرة إلى أوروبا في قصة "على الشاطئ الآخر" لزهور ونيسي
– د. عبد القادر لكحل (جامعة المسيلة): الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية- مرحلة السبعينات والثمانينات أنموذجا-
– لخضر فرج (جامعة المسيلة): واقع الاغتراب في القصة الجزائرية القصيرة بين إشكاليات الحقيقة والوجود والمأمول

الورشة الثانية (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية الطابق الأول) الجلسة الأولى

– أ..د. عبد القادر العربي (جامعة المسيلة): البناء الفني في قصة (جروح في ليل الشتاء) لعمر بن قينة ، دراسة نقدية
– د. مبارك بالنور (جامعة تيارت): الرؤية النقدية للقصة القصيرة في الجزائر عند عبد الله الركيبي.
– د. عبد العزيز العايب (جامعة المسيلة): مفارقة الواقع و اللاواقع في قصص السعيد بوطاجين –ما حدث لي غدا و وفاة الرجل الميّت -عيْنةً-
– سمية خلفة (جامعة المدية): تيمة الاغتراب في القصة القصيرة الجزائرية (نماذج مختارة)
– خولة بوصبح- د. سميحة كلفالي (جامعة بسكرة): البعد الاجتماعي في كتابات أحمد منور القصصية (لحن إفريقي) أنموذجا
– وليد بوعلي (جامعة سطيف1)- أ.د. أحمد أمين بوضياف (جامعة المسيلة): أدلجة السرد القصصي الجزائري القصير-فترة السبعينات والثمانينات أنموذجا-

الورشة الثانية (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية الطابق الأول) الجلسة الثانية

– ليندة بولحية- د. هشام ميداغين (جامعة المسيلة): عن الغربة والشتات في المجموعة القصصية (أسماك البر المتوحش) لواسيني الاعرج
– د. نورة فطوش (جامعة المسيلة): بنية الشخصية وأبعادها الدلالية في المجموعة القصصية (على الشاطئ الآخر) لزهور ونيسي
– د. رضا بن صفية (جامعة المسيلة): الفكر النقدي عند محمد مصايف (نقد القصة القصيرة) أنموذجا.
-فاتن بن داحي (جامعة المسيلة): معاناة المغترب الجزائري في المهجر قصة (المغترب) لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجا
– د. بسطال باسم- كريمة مليزي (جامعة المسيلة): الأيديولوجيا والسرد في المتن القصصي القصير بالجزائر-قراءة في قصة دخان من قلبي - للطاهر وطار

الجلسة العامة الثانية

– أ.د. بن يطو عبد الرحمن (جامعة المسيلة): الثورة في المتخيل القصصي الجزائري - قراءة في المجموعة القصصية (بحيرة الزيتون) لـ : أبو العيد دودو.
– أ.د. بن ستيتي سعدية (جامعة المسيلة): وعي ولمسات نقدية في القصة الجزائرية القصيرة لدى محمد مصايف.
– د. عاشور توامة (المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة): تجليات الاغتراب في المجموعة القصصية "على الشاطئ الآخر" لزهور ونيسي

التوصيات واختتام الملتقى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

استمارة المشاركة

واللقب: ليندة بولحية

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، مخبر الشعرية الجزائرية

الدرجة العلمية: طالبة دكتوراه أدب عربي حديث ومعاصر

الهاتف المحمول: 0674396488

البريدالإلكتروني :linda.boulahaia@univ-msila.dz

د.هشام مداقين

أستاذ محاضر أ جامعة المسيلة

hichem.medaguine@univ-msila.dz

المحور: القصة القصيرة وإشكالية الاغتراب (مشاكل الهجرة إلى أوروبا . المشكلة الوجودية...)

عنوان المشاركة:

عن الاغتراب والشتات في المجموعة القصصية (أسماك البر المتوحش لوسيني لعرج)

الملخص:

شهدت الجزائر في الفترة مابين1970-1989 ظروف وأزمات اجتماعية سياسية وحتى ثقافية؛ ناجمة عن الثورة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، التي كان لها بالغ الأثر على المجتمع بشكل عام وعلى الهوية الجزائرية على وجه الخصوص؛ كضعف الانتماء وتمزق المجتمع والإحساس بالضياع، مما دفع بالشباب لركوب أمواج الغربة، والبحث عن الذات وراء شواطئ الأمل.

هذه التحولات؛ كانت دافعا أساسيا للكتاب الجزائريين وخاصة كتاب القصة القصيرة؛ لتسليط الضوء على موضوع الاغتراب، باعتباره من الموضوعات المثيرة للاهتمام والأكثر تعقيدا خصوصا في تلك الفترة بالذات، فكانت غايتهم في ذلك (الكُتاب)؛ التعبير عن أثر هذه التحولات والاستعمار على الوطن والانتماء، واستكشاف الذات وتأثير الهجرة على المهاجرين.

وهو ماحاول الكاتب " واسيني الأعرج " في مجموعته القصصية " أسماك البر المتوحش" أن يبلوره من خلال شخصيات أبطاله ومعاناتهم داخل وطنهم وخارجه؛ بين البحث عن لقمة العيش ومحاولة إثبات الذات في بلاد المهجر، وانطلاقا مما تقدم نطرح الإشكالية التالية: ما هو الاغتراب؟ وكيف جسد واسيني الأعرج الاغتراب في هذه المجموعة القصصية؟ وكيف تتجلى تجارب الاغتراب داخلقصصها؟

الكلمات المفتاحية: الهجرة – الاغتراب – شتات الوجود – الانتماء.

1 – مقدمة:

بفعل التحولات والظروف الاجتماعية السياسية والاقتصادية؛ التي طرأت على المجتمع الجزائري –نتيجة لتلك الحروب والأزمات؛ التي أفضت إلى ترك أثرها العميق – ازداد المجتمع تعقيدات وصراعات وتناقضات واجهها الإنسان بعد الاستقلال وخاصة خلال فترتي السبعينات والثمانينات، فزمن الحرب وزمن الاستغلال.. ما زال يلقي بثقله وعنفوانه على الحاضر، مما جعله أمام تحديات صعبة؛ انعكست سلبا على الفرد منها ظاهرة الاغتراب.

وبما أن الأدب مرآة المجتمع؛ فقد حمل الكتاب على عاتقهم هم واقعهم وهم الإنسان بوجوده وانتماءه هويته ومصيره وغربته، هذه الأخيرة خلقت حضورا لا يمكن نكرانه في الأعمال الإبداعية ومنها القصصية بشكل خاص، ذلك لما تكتنزه – القصة القصيرة – من فضاء رمزي، وحمولات دلالية مكثفة قادرة على احتواء الجوانب الملموسة والمحسوسة من واقع وعمق المجتمع؛ ببحث قضايا الذات والوجود والصراع **و الغربة والهجرة ..، أو ما يسمى بالاغتراب** فكان لهذه الظاهرة أكثر تأثيرا وبروزا وواقعية في القصة القصيرة الجزائرية، ومن الموضوعات الإنسانية التي شغلت الكتاب الجزائريين، فكان الأديب الصوت والصرخة المدوية من أعماق المجتمع، في صوغ التجارب والصراعات والتطلعات...، ونقل مشاكل الغربة بمايصاحبها من مشاعر الألم الوحدة والضياع...؛ لفهم أسبابها وتبعاتها ونتائجها ، وهذا يعد ميزة أساسية من ميزات الثقافة الأدبية إنه –

من هنا جاءت هذه المداخلة؛ لتبحث في تجلي الاغتراب في قصة" أسماك البر المتوحش"لكاتبها واسيني الأعرج؛ **باعتبار الاغتراب والشتات من المفاهيم السوسيولوجية** يبحث في الغربة بشقيها الوجودية (الوطن الأم) والخارجية (البلاد البعيدة)، وأثرها النفسي والاجتماعي، بعرض أبطالها الذين يعانون قلق الوجود وصعوبة الحياة، فاختاروا طريق الهجرة وراء الشطآن؛ التي لا يعرفون عنها سوى تلك الواجهة الظاهرة المزينة، لكن في بواطنها منسوجة بخيوط الظلم والوهم والأحلام المزيفة، هذا ما سنكتشفه في هذه القصة.

2– مفهوم الاغتراب والشتات

الاغتراب – " وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق ومايصاحب ذلك من سلوك إيجابي أو شعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات والانعزال الاجتماعي وما يصاحبه من أعراض إكلينيكية"[1]، ، ومن تعريفات الاغتراب كذلك – على حد تعبير الدكتور محمد راضي جعفر– أنه " ظاهرة، قديم قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظل سننها وتقاليدها المشاكل والأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر، عن أنواع من الاغتراب عانى منها الفرد، وكانت تقوده حينا إلى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، وحيننا إلى الاستلام والانعزال والانكفاء على الذات"[2].

هو اختلال الروابط والعلاقات بين الفرد والمجتمع – سواء داخل وطنه أو خارجه – وتؤثر عليه، مما يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية؛ كالشعور بالعزلة وعدم الانتماء، تعرفه الباحثة آمال عبد المنعم بأنه:" يتعلق بحياة الفرد ضمن مجموعته الاجتماعية

التي ينضوي إليها، فإذا لم يجد هذا الفرد توافقا بينه وبين هذه المجموعة الاجتماعية، فإنه لا شك سيحس بأنه غريب ضمن هذه المجموعة، خاصة إذا كان ذلك الإطار الاجتماعي لا يلبي لهذا الفرد كافة رغباته الاجتماعية، ولا يؤدي له الدور الذي يصبو إليه من خلال تحقيق ذاته، أو إسهامه في إنجاز تلك الجوانب الاجتماعية التي يرى فيها تحقيق شخصيته، وإنجاز كيانه الاجتماعي الذي ينمو نحوه ويتجه إليه"[3].

3 – تمثلات الاغتراب والشتات في قصص "أسماك البر المتوحش":

يقدم واسيني الأعرج تجربته هذه في شكل ومضات قصصية، مستقاة من شرايين المجتمع الجزائري وأعماق الذات، كتبها بلغة شعرية عذبة وأسلوب شيق يعلوه الغموض، مشحونة بالظلام والسوداوية، فوجدت الشخصيات نفسها وسط قساوة الحياة ووحشة المكان فعاشت غريبة في وطنها، وأخرى اضطرتها هذه الظروف للاغتراب خلف ضفاف الأمل الباهت، فتلاشت أحلام الأمس بين ظلمة العالم البعيد واحساس الضياع والوحدة..

لذلك سنحاول في هذه الدراسة الخوض في عوالم هذه التجربة، واستطلاع أغوار الذات المستنزفة وفهم معانيها وحاجاتها وغربتها التي تجسدت بأشكال عديدة.

3–1. العنوان والاغتراب:

العنوان حامل معنى وحمال وجوه، مواز دلالي للنص، وعتبة قرائية مقابلة له توجّه المتلقي، بل وتغريه للاطلاع على فحوى الرسالة المراد إيصالها من قبل المؤلف"[4].

في سياق العمل الأدبي؛ يشتمل العنوان على بضع كلمات مختصرة وموجزة تعبر عن جوهر وهوية النص، يحمل في ثناياه قصصا وألغاز تنساب إلى مخيلة القارئ وتثير لديه أسئلة وتوقعات عما يعنيه العنوان.

وفي سياق قصة " أسماك البر المتوحش"؛ يشير هذا العنوان إلى التناقض؛ الذي يثير في ذهن الباحثة نوعا من الغموض والشتات ويحدث تشويشا للصورة الذهنية، لأنه يحمل نوعا من المفاجأة وكسر التوقع، فهذه التوليفة التي نلاحظها في العنوان" أسماك البر المتوحش" أكثر تشويقا وإثارة للأسئلة، فالمقطع الأول أسماك البر تحمل تناقضا؛ كون أن الأسماك يكون وجودها في الماء، بينما البر يشير إلى اليابسة أو الأرض، لكن وجود الأسماك في البر هنا كسر للقاعدة المألوفة المعتادة، فهذا يرمز **لاستحالة العيش في مكان آخر** للتحدي؛ أي تحدي العيش في أمكنة غير مألوفة، وربما أيضا يشير إلى الهوية والبحث عن الكينونة ومحاولة التكيف مع الظروف الأخرى وإثبات نفسها في بيئة غير بيئتها وراء البحر، فمغادرة الأسماك للبحر يشير أيضا للمغايرة والاختلاف؛ أي مغادرة الوطن الأم والظروف التي يعيشها الفرد إلى بلاد أخرى، إنها مغادرة /غربة اضطرار وقهر بحثا عن الحلم المفقود، نأتي إلى كلمة " متوحش" ، التي ترمز للطبيعة القاسية والظروف غير المتوقعة والعالم الغامض المختلف غير المألوف، فتحمل دلالات العنف، الصراع، الظلم، والتعقيد الذي يواجهه الفرد في البيئة الجديدة، وهي أمور مخفية خلف هذا العالم، فالأسماء طبيعتها أنها مخفية تحت الماء وخروجها منه دلالة على ظهور الأمور المخفية والجوانب المظلمة في المكان البعيد ،تماما مثلما واجهته شخصيات القصة التي سيأتي لحديث عنها.

3–2. الاغتراب المكاني:

هو الوضع الذي يجد فيه الفرد نفسه، سواء في المكان الأول (الوطن الأم)، أو في المكان الآخر (وراء البحار)، وما يصاحب ذلك من شعور بالقلق المكاني، وتشظي الذات والاغتراب، إنه "ارتحال الذات عن مكانها الأول الوطن المنشأ، والانتقال للعيش بمكان آخر فضاء جغرافي مغاير وسياق ثقافي مختلف تشعر معه بنوع من الاختلاف الهوياتي بل قد تحس الذات بنوع من القلق الكينوني والاضطراب الهوياتي ما يشعرها بنوع من الاغتراب الوجودي"[5].

وفي هذه المجموعة القصصية؛ هناك إشارات واضحة للغربة المكانية، وتجارب الأبطال مع الأمكنة التي تعمق شعور الاغتراب، في قصة "أسماك البر المتوحش"؛ يدور السرد حول حياة البطل الرئيسي المدعو "كريمو" ؛ الذي عانى – رغم صغر

سنه – من قساوة الحياة من خلال التجارب والتحديات التي مر بها وأثرت في نفسيته مما جعلته يعيش الغربة، وجد نفسه يكابد مرارة العيش والمعاناة في وطنه (المكان الأول)، فهو طفل صغير يتيم الأب له أم وأخت صغيرة، تعيش هذه الأسرة ظروف قاسية منعته من الالتحاق بالمدرسة وتلبية حاجياته كأي طفل في مثل سنه، فاضطر للعمل كماسح أحذية، لكن مجتمعه لا يرحمه؛ لما يتلقاه من سوء المعاملة وانعدام الرحمة في مجتمع لا يتسامح مع ضعفة وفقره...، حوله كل هذا إلى كتلة من الصمت والكبت وتغير الطباع...وغيرها من العوامل التي أثرت في نفسيته وزادت من حدة شعوره بالغربة والانفصال عن مجتمعه، وقد عبر عن هذا التوحيدي بقوله:" أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه"[6].

امتد هذا الاغتراب ليصيب مكان آخر ضمن المكان الأول وهو(البيت)/ الأسرة؛ بسبب فقدان الأب، والفجوة العاطفية والجفاف من قبل الأم – سنفصل هذا الأمر لاحقا – وانشغالها بأمور لا يتقبلها هو، وهذا مما يزيد من عدم قدرة الذات على التوافق ويغالبها إحساس الغربة في هذه الأمكنة، ولكن على الرغم من كل هذا؛ فإن كريمو لا يتخلى عن أمه، وهذا ربما دليل –على حسب رأي الباحثة – على تمسك الشخصية بالمكان(الوطن).

في نفس دائرة الاغتراب الأول هناك فضاء آخر وهو الاغتراب المديني؛ أي التنقل من الريف/القرية إلى المدينة، وهو ما تجسده قصة " لحظات باردة في يوم استوطنته الغربة"، حيث يسافر البطل مع رفيقته حفيظة – طالبان جامعيان – إلى المدينة، هروبا من الفقر وثقل وكآبة القرية وصمتها يقول:" قذف بي حضوري بعيدا عن هذه الأرصفة المكتظة بالجياع. كانت ذاكرتي تهجر خلف جدار المدينة"[7]، وفي سياق آخر يقول: " العالم يتقهقر في دماغي، فالغربة شيء حتمي ها هنا. كنت خارج الزمن، أفكار مرمية تلحسها الديدان. أتمنى لو أتنفس. لو أملأ رئتي بالهواء الطلق"[8]، فالقرية تخنق الأنفاس بسبب الرطوبة والسكون " هه. صمتهم مقبرة. سأرحل إلى المدينة"[9]، حيث الحضارة والهواء النقي، لكن عند وصولهما أصابتهما الصدمة من حياة المدينة الموبوءة، وما تحمله بين قسماتها، فقد هربا من الحفرة إلى البئر " نهيم على وجهينا في المدينة. يسطو علينا هذيان وارتباكات لم نكن نعرف مصدرها. ربما لأن المدينة بدت لنا صفراء؟.."[10]، لقد أصابتهما المدينة بالذهول فوجدا شوارعها تعج بالفقر والضياع... يقول السارد:" الحقيقة تقال: متى ابتعدنا عن المدينة، توغلنا أكثر في شرايينها الموبوءة "[11]، ويضيف " سألتني هل يقيم في العراء هؤلاء؟

–غرفته. هذا الكارتون الذي يرحله على ظهره "[12]، فتراءت لهما القرية التي هربا منها هذا الصباح؛ جميلة بهدوئها ودفئها وبكل ما تحمله، فعادا أدراجهما في تلك الليلة.

ورغم أن الوطن يسرق الحب والسكينة، إلا أن الهجرة تسرق العمر وتبعثره في المطارات والمدن الدهرية"[13]، يأتي هنا المكان الثاني المتمثل في الهجرة إلى الخارج/ الغرب وخاصة إلى المدن الأوروبية، ويظهر هذا في قصة " باريس..وأشياء أخرى"؛ والتي كانت خير مثال لتجسيد ظاهرة الهجرة نحو باريس، يسرد الروائي من خلالها واقع المجتمع الجزائري في أصعب الظروف الحساسة، حيث كتبها الروائي نهاية السبعينات في باريس سنة 1977، يعاني بطلها من قساوة الظروف المتمثلة في واقع يسوده البؤس والشقاء المادي...، دفع به هذا الوضع وأيضا حالة ابنته التي تموت جوعا أمام عينيه للهجرة نحو باريس، يظهر هذا في قوله: " سقطت من ذاكرته أزمنة تناضل الموت. وعاوده وجه صغيرته بشكل الوطن المنفي وكان الجوع يعوي في بطنها...ماذا ياإلهي لو وجدت ذات صباح ميتة، يابسة من البرد والجوع. هزلت الدنيا في عينيه. عجوز يطاردها العراء. تدور دورات غير عادية. فباع البقرة الصفراء والأغنام القليلة ليشتري عربة يلج بها شوارع الشط الآخر المظلمة الموبوءة"[14]، ولكن النجم قد أفل منذ لحظة وصوله، لقد اكتشف الوجه الآخر لباريس، الجوع والبرد والموت مستشرية في شرايين المدينة، وجد نفسه قد أخطأ في تقدير الوضع واغراءات المكان؛ الذي كان يرى فيه الحلم، ولكنه اصطدم بواقع غير ذلك ، واقع أقسى مما كان يتصور،يتجلى هذا على لسان السارد:" هو الآن يدرك جيدا أنه قبل أن يمارس الرحيل إلى هذه البلاد الغريبة، وقبل أن يفتقد ظله الجائع في شوارع باريس ويجده ثانية، كان قلبه مستنقعا يعج بالذباب المنتفع. تمدد في جسده غبي من أغبياء العصور الوسطى.

باريس تحل مشكلة البرد والجوع.

هكذا تصور قبل زمن توجته كوارث السنين المريضة"[15]، أو كما يسميها ب"أرض الموت"، فعانى أضعافا مما عاناه في وطنه، لقد " تساقطت باريس من عينيه"[16]، فما كان منه إلا أن يعود إلى وطنه بصعوبة بعد أن تعرض للمطاردة والسجن، " فعاد متشوقا مشتاقا لوطنه " فوراء الشاطئ ينمو وطن جديد"[17]، حيث يشير السارد أنه" عند عودته تبرعم طفلا صغيرا. تاركا وراءه ليالي العرى والصقيع. قد يسبق الريح ويحضن الوطن بساعد أقوى"[18].

تأتي قصة " الوشم بالإسفلت"؛ التي تروي قصة شاب زجت به غربته في وطنه والظروف إلى شوارع باريس للبحث عن فرص العمل، وتحقيق أحلامه، فالعامل الاقتصادي أحد مسببات الشعور بالاغتراب " تساءل شيخ يبحث عن فرنكات جائعة كوجهه، أكثر خلق الله عشقا للحياة. تمنى يوما أن يعانق نجمة هربت بين يديه. وكان الزمن زمن برد.

-إلى متى تستباح السواعد وتصدر الوجوه؟؟ مدينتنا!! نحبها وتقتلنا"[19]، يعبر هذا القول عن حالة الاستياء من واقع الوطن الذي لا يوفر أسباب العيش لأبنائه، ويظهر هذا أيضا في القول: " قال شيخ القرية منذ صباه. ينام بقلبه تاريخ الأجيال ... أورثته البلدة كل أمراضها.

- كالعادة. وجوه أولادنا تباع وتصدر وراء الشطآن. أي بلد هذا الذي يرمي بذويه خلف ستار الموت؟ أي استقلال يسرق اللقمة من فمك؟"[20]، يشير المقطع على حالة الاستياء من الواقع المأساوي للبلاد؛ التي تجبر شبابها على ممارسة الرحيل إلى بلاد الغربة؛ لتبحث عن ذواتها المنهوبة، وأحلامها المأسورة "بدل أن تغذينا تلعق طاقتنا، وتقذفنا جثثا وأخبار مع الريح "[21]، ويضيف أيضا بالقول: " وتمتد الذاكرة التي جرحها الخوف. تبحث عن الذات التي أكلتها ليالي باريس الجائعة "[22]، فباريس هي الأخرى خيبت آماله، يكتسيها الجوع، البرد، وحتى الظلم...فتزيده اغترابا، فيعبر عن الحقيقة الصادمة لباريس حيث يقول: " الحقيقة تقال: وراء الشواطئ الصفراء كلشيء يغتال في حضرة المواسم الباردة، الليل ها هنا تنين مفقأ العيون، يبحث عن قطرة دم يستنزفها. المدينة بلون الشوارع، أفعى تلحس في الخفاء والعلن أطفال الحارات الجائعة "[23]، يجسد هذا المقطع صورا مرعبة تفضح الجانب المظلم المشوه خلف الشواطئ، صفراء لا حياة فيها، تنبعث منها روائح العزلة، تتربص بالمغترب وتقربه من حد الاستنزاف وسيف التهديد والاغتيال وقوارب الموت " عد من حيث أتيت وأرحنا من قتلك...

سأعود، لم يعد شيء يغريني في أرض الموت. سأعود.. وجهي ليس بضاعة"[24].

نلاحظ -من خلال ما سبق ذكره – عودة الشخصيات إلى أوطانهم بعد تجربة مريرة وقاسية، وهم أكثر شوقا، فهذا يعكس قيمة الوطن؛ الذي مهما اغتربوا فيه وابتعدوا عنه؛ يبقى هو الحامي لهم.

3-3 الاغتراب ونوستالجيا المكان

كما تُظهر القصة مظهر آخر من مظاهر الاغتراب المكاني؛ وهو الحنين للمكان/ الوطن، فالشوق للمكان الأول؛ هو أحد أوجه شعور الفرد بالاغتراب، نلمح هذا في مقطع من قصة " باريس.. وأشياء أخرى " يتحدث فيه السارد عن البطل يقول:" سقطت عيناه ذات مساء على صحيفة ما، وهو عائد إلى قبوه يحمل عياء يومه:

زنجي يضحك الأوبرا بكاملها

-سقوط مهاجر عربي من أعالي البناية..."[25]، فقد كان بطل القصة يتتبع أخبار الوطن عبر الصحف وهو في باريس، فهذا دليل على الانتماء، وفي موقع آخر من القصة نفسها يتجلى هذا الاغتراب في الحنين إلى أيام الطفولة، وهو ما يتجسد في بعض المقاطع منها قول السارد: " تراءى الوطن بقامته الجميلة وأيام الطفولة بأشيائها الصغيرة والكبيرة.."[26]، ويضيف" كان قزما عالقا بعباءة أمه الممزقة وهي تجوب الأسواق الشعبية. ثم وهي ترعى الأغنام على عاتقها سنين السياط ولوعة الفقر"[27]،وفي قصة " الوشم بالإسفلت " يتجلى الحنين في قول البطل:" لحظة الموت حين نتذكر طفولتنا وأعراس البلدة"[28]، فالعودة إلى ذكريات الطفولة والشوق للوطن؛ يعتبر تعويض عن إحساس الاغتراب وافتقاد الحرية، كما أنه أيضا تعويض عن

مشاعر الوحدة والعزلة التي يعيشها المغترب في وسطه الجديدفيهرب بخياله إلى ذكرياته الماضية واللحظات السعيدة التي تمده بالقوة لمواصلة الحياة والتكيف مع التحديات.

4– الاغتراب الاجتماعي:

ومن عوامل الاغتراب الاجتماعي في " أسماك البر البر المتوحش "، نجد مشكلة " الفقر"؛ الذي هو أحد مسببات الإحساس بالاغتراب وفقدان الشعور بالانتماء الاجتماعي، حيث أنه يعيق المسار الاقتصادي ويجعل الانسان غريب لايستطيع تحقيق الفرص وحصول الاكتفاء، فهو " باعث من البواعث التي يحذرها الانسان كي لا يقع في مزالق الاغتراب الاجتماعي، فكما مرّ، فإن الفقير يشعر بالغربة حتى بين أهله وأبناء عمومه "[29]، لقد كان الفقر يسيطر على أجوار قصص المجموعة، ويلقي بثقله وقلقه على شخصياتها، حيث تجلى في قصة " أسماك البر المتوحش "؛ من خلال تجسيد كمية معاناة الجوع التي يشعر بها كريمو؛ وهذا في قول السارد: " سمع أصواتا داخل بطنه... مسح بكم قميصه المطوي عدة طيات عند معصمه. تراءى لنفسه، قردا صغيرا يتسلق الأشجار ويأكل الموز وفواكه أخرى حلم بها ذات ليلة حين بقي في الفراش أكثر من أسبوع "[30]، ويضيف السارد على ذلك بقوله: " أحس بالجوع ينشب أظافره في بطنه الفارغ "[31]، ففقره جعله يضطر للعمل كماسح أحذية رغم صغره، مقابل دراهم معدودة قليلة لاتكفي حتى لشراء قطعة حلوى حلم بها، مثل التي تملها البنت الغنية.

في كثير من الأحيان يؤدي الفقر إلى التهميش، فيشعر الفقراء بأنهم منبوذون وغرباء وسط الفئات الاجتماعية الغنية، فيشعرون بالانفصال والعزلة والغربة الاجتماعية، وأنهم لا ينتمون إلى هذه الفئة، مثلما حدث مع شخصية " كريمو " ومعاملة الزبون له باحتقاره واستغلاله، والأمر نفسه في باقي القصص المختارة، حيث كان الفقر فيها فارضا سيطرته باسطا أجنحة قسوته على أبطالها، وحال بينهم وبين تطلعاتهم، فكان سببغربتهم في وطنهم واغترابهم في البلاد الأخرى، فعاشوا الاغتراب والتهميش والاستغلال في المهجر بسبب وضعهم الاقتصادي، ففي قصة " باريس.. وأشياء أخرى" يظهر الفقر في قول البطل: " الجوع يعوي في بطنها "[32]، وكذلك في قوله: " جياع مزقتنا السياط "[33]، ويتجسد أيضا في " الوشم بالأسفلت " في عدة مواضع من ضمنها قول السارد: " اليوم عاد يحمل وجهه المرقع بالجوع... "[34]، أما في قصة "كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء " التي أحكم فيها الفقر وطأته، وسبب لشخصيتيها العديد من العقبات والتحديات، فقد عوقب البطل بفقره عن الزواج بكاتيا، وأجبر بعدها على تحمل مخاطر الهجرة.

لقد كان لظاهرة الفقر أثر كبير في تفاقم التحديات الاجتماعية على حياة الانسان، مما يسفر عن صعوبة في التأقلم مع هذه الظروف، زيادة على ذلك يجعلهم أكثر عرضة للتهميش والاحتقار والاستغلال، ويحدث الفجوة بين الطبقات الاجتماعية.

ومن مظاهر الاغتراب الاجتماعي؛ ظاهرة " التفاوت الطبقي"، الذي يشير إلى التباين في الوضع الاجتماعي والاقتصادي بين طبقات المجتمع، حيث تتحد كل طبقة أو فئة بمستوى معيشي مختلف عن الأخرى، ويؤدي ذلك إلى تعزيز وإحداث الفجوة بين هذه الفئات، ويفسح الطريق أمام شعور الانفصال والعزلة وبالتالي إلى الاغتراب كنتيجة لتلك الفروقات ويعمق المعاناة، وفي هذا السياق؛ يتجلى التباين الطبقي في قصة " أسماك البر المتوحش " في عدة أشكال، أولها التفاوت في الثروة؛ فشخصية كريمو شخصية بائسة فقيرة، بينما وضعية الزبون وابنته وكذلك أفراد المجتمعمن الطبقة الغنية، حيث يظهر هذا في قول كريمو: " أول زبون في هذا اليوم الملعون الذي أخرج من ثلاجة، النهار في منتصفه، وأبناء الكلاب لا يمرون إلا في السيارات. تتبعهم كنوز سليمان، التي تحدثت عنها جدتي حتى مرضت وماتت"[35]، وفي قوله أيضا: " الرجل القادم سيد أنيق يلبس كسوة خضراء كالغابة "[36]، أما كريمو فهو في غاية الفقر والحرمان، يدب الجوع في أوصال جسده الهزيل، فمن شدة الفقر لا يستطيع حتى الحصول على قطعة الحلوى؛ التي تمنى خطفها من ابنة الزبون.

وفي سياق هذه الظاهرة هناك نوع آخر من التفاوت المتمثل في الوظيفة؛ فوظيفة البطل كريمو تلميع الأحذية " يا الله يا شباب.. تلميع أحذية "[37]، بينما الزبون وظيفته الصفقات حيث يشير إلى هذا في قوله: " أبوها كان غائبا في صفقة

ما؟ "[38]، كذلك التفاوت من جانب التعليم/ الثقافة؛ حيث تبدو شخصية الزبون من خلال الوظيفة شخصية مثقفة متعلمة، بينما البطل كريمو لم يلتحق بالدراسة بسبب سوء الظروف المعيشية، كذلك نلمح هذا التفاوت من خلال مدى العنصرية والاستغلال التي تعرضت لها شخصيات المجموعة " أسماك البر المتوحش " المهاجرة، وما تلقته من اضطهاد وظلم واستعباد في الغربة. مما جعلهم يعانون الاغتراب.

ومن جوانب الغربة الاجتماعية أيضا؛ ظاهرة " الاستغلال والاستعباد "، وهي أحد الظواهر السلبية والمشكلات الاجتماعية التي تؤثر سلبا على الأفراد من الناحية الاجتماعية والنفسية وحتى الصحية، ويظهر هذا النوع من الظواهر بصورة جلية في قصة " أسماك البر المتوحش " من خلال ما تعرض له كريمو من ظلم وبخل واجحاف في حقه واستغلال لجهده بعد انتهائه من تلميع حذاء الزبون " خذ. بزاف عليك ما تكونش طماع.

تدحرج عند أقدامه دينار، ظل يدور ويدور ثم سكن باردا كقطعة ثلج فوق الأرض المتسخة..."[39]، فأشعره هذا التصرف بالقهر والظلم والاحتقار من هذا السلوك، فوضعيته الاجتماعية البائسة جعلته يتعرض للاستغلال من طرف الأغنياء الذي يعيشون على جهود غيرهم من الفقراء، كما يظهر الاستغلال في الاستيلاء على مصدر رزقه – الكرسي الذي يعمل به – دون إعطاء أدنى اعتبار له أو حتى أخذ الإذن منه، يقول كريمو عن ابنة الزبون: " هذه القطعة المتسخة تريد أن تستولي على خبزتي. وإذا أخذتها. هذا يعني شهرا آخر من العمل، وشهرا آخر من التوقف عن العمل"[40]، كما تُظهر قصتي "باريس.. وأشياء أخرى " و " الوشم بالإسفلت "؛ حجم الظلم والعبودية والاستغلال التي تعرضت لها الشخصيات في مصانع باريس، ففي القصة الأولى " باريس.. وأشياء أخرى " تعرض بطلها للمطاردة لأنه لم يتقبل الوضع والعبودية الذي كان يواجهها داخل المنجم ، يقول السارد: " تشابكت صور المحطة بأيام الحرب وهو مطارد على الحدود "[41]، فقد ذكرته معاناة المصنع بذكريات الاستعمار؛ التي تتقاطع معه في الظلم والعبودية، حيث تعرض لاستغلال الجهود في العمل دون مراعات لحقوق العمال " أربعة أيام جوع، وبرد لا نفرق بين الليل والنهار "[42]، أما في قصة " الوشم بالإسفلت "تتجلى فيها ظاهرة الاستغلال والعبودية بشكل واضح؛ فقد تعرض البطل المغترب في باريس هو الآخر للاستغلال داخل مصنع الزيت دون أن يُمنح له أجره المستحق مقابل عمله، فانخفاض الأجر؛ أحد أكبر الأسباب المؤدية للاغتراب، يقول في هذا الصدد معبرا عن كمية هذا الاستغلال في الغربة: " المصنع هذا القدر العملاقي، هذا العالم المتشابك المتناسق الذي يلفظ الغرائب وتشوه الوجوه مقابل فرنكات هزيلة يبتلعها الشارع.."[43]، لقد أظهرت هذه المقاطع حجم الظروف الصعبة التي عرضت الشخصيات للاستلاب والاستعباد؛ الذيْن يشعرا الفرد بأنه فاقد للحرية غير مستقل، منحاز إلى سلطة تكبل مساره وتتحكم فيه.

تتجلى الغربة الاجتماعية في قصص واسيني الأعرج أيضا؛ في السيطرة الأبوية وسلطة التقاليد، ففي قصة " أسماك البر المتوحش " يعيش كريمو في مجتمع أبوي يرفض عمل المرأة بحكم تبعيتها للرجل، فأم كريمو بعد وفاة زوجها اضطرت مكرهة لاستقبال الرجال الغامضين، وهذا يعكس مدى خطورة هذه السلطة الذكورية وهذه القيود،وسلبية نتائجها، كذلك صور السلطة الذكورية من خلال القصة، فنجد أن سلطة الرجل وشخصيته تمنعه من البكاء أمام المرأة وهذا ما يتجلى في القصة عندما رفضت الأسرة أخته حياة، يقول: " أتذكر أن أبي بكى. ولأول مرة أراه يفعل ذلك في حضرة أمي"[44]، فبكاء الرجل أمام المرأة؛ يعتبر بالنسبة له ضعف وتقليل من قيمته، وكسر لصورة القوة والثبات والهيبة؛ التي تفرضها بعض الثقافات بعدم إظهار الجانب الضعيف للرجل أمام المرأة، وأنه لابد أن يظهر بمظهر القوة في حضرتها.

ومن مظاهر سلطة التقاليد في قصة " كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء "، يعاني البطل ومحبوبته كاتيا من ثقل التقاليد الاجتماعية الراسخة التي تحكم القبيلة، في مجتمع محافظ يعيش على عتبات التقاليد القديمة، والتي أثرت على شعوره بالانفصال والاغتراب، حيث منعه جد كاتيا من الزواج بها لأنه بائس فقير، فتجلت هذه الفكرة في نص القصة المذكورة في قوله: " يأتي يوم الطعن قويا. كالسؤال المحرج، قال بوقاحة: رقبة ابنتي تساوي مليونين.

كان جدك. شيخ هرم. مصمم على أن يبيعك بدل أبيك المتنازل عن أملاكه المنسية "[45]، وفي موضع آخر" تحت ضغط اللغو الصيفي وتهديد سيف الجد المعلق منذ زمن على حيطان بلدتنا الهرمة"[46]، وكذلك في قوله:" أخاف أن أتعفن قبل أن أقتحم صدرك الذي أوصدته في وجهي كل القبائل العربية"[47]، هذا الرفض؛ جعل الشخصيتين تعيشان القهر الصراع والتصادم بين هذه العادات وبين رغبتهم في الارتباط.

5- الشتات ومظاهره في قصص أسماك البر المتوحشة

وهو حالة وجدانية عاطفية تحدث داخل الشعور والوجدان؛ نتيجة الضغوطات الخارجية، فتسبب عدم الانسجام والتوازن النفسي وتقبل الظروف الاجتماعية، كما أنه يشير إلى تلك الاضطرابات العميقة والحالات النفسية التي تعصف بوحدة الفرد وتؤدي إلى انشقاقها وانفصالها وتفكك الهوية، وبالتالي تدفعه إلى الاغتراب.

5-1 الحرمان والوحدة

وقد تجلى **الشتات** النفسي في مجموعة " أسماك البر المتوحش" بأشكال عديدة. منها الحرمان العاطفي،إنه إحساس الفرد بفقدان العلاقة العاطفية الحميمة مع أفراد أسرته/ مجتمعه/ أو محبوبته، ففي قصة "أسماك البر المتوحش "؛ تظهر بوضوح معاناة الحرمان لدى الطفل كريمو في فقدانه لوالده وافتقاده للرعاية والأمن النفسي الذي ينميه الوالدين لدى الطفل، مما ولد لديه اضطرابات نفسية وسلوكية، وزاد من شعوره بالغربة عن ذاته وعن العالم المحيط به، وخاصة عندما يقارن نفسه بغيره من الأطفال، وهو ما نلمحه في القصة عندما لاحظ كريمو علاقة ابنة الزبون بأبيها فيقول: "يفاجئها أبوها يأخذها بين يديه كالأرنب الوحشي المدجن، يتعمق عينيها، يدخلهما بكل ثقل جثته المترهلة، يقبلها يدغدغها.

-لا يا بابا. إنها متسخة. سأشتري لك غيرها.

آه يا أبي لو تعود. سأخبرك هذه المرة أن تأخذني بين ذراعيك. وتقبلني حتى يغمى عليا وعليك"[48]، فإحساس الفقد من أصعب التجارب العاطفية لدى الطفل، التي من الممكن أن تنمي لديه شعور بالحزن والألم والغيرة، فالطفلة لديها أب يحميها، ويوفر لها كل ما تحتاجه، يدللها، بينما هو ليس ليه أب يحميه، يواجه الحياة بمفرده محروم من أبسط احتياجاته، يقول: " الطفلة ذات العيون الزرق تكومت في لباس أبيها. لم تعد تبكي. إنها تنتظر إبْلاً وشاحنات تأتيها محملة بكل أنواع الحلوى والفواكه والـ. أحس بالانسحاق. تمنى لو يبكي"[49].

ولعل من أكثر التجارب التي أثرت على شخصية كريمو؛ هو افتقاده للحنان والرعاية والدفء الأسري من قبل والديه، يقول: " أبي الذي تفحم. كان رجلا من الرجال الطيبين. لم يكن لديه وقت لحملنا فوق رقبته والجري بنا في العالم كله"[50]، إضافة إلى قلة الاهتمام من والدته؛ التي كانت مشغولة عليه، لا تلبي حاجته للعطف والحنان، لكونهما من الأساسيات الضرورية خاصة للطفل في مراحل حياته الأولى، وانعدامهما يؤثر بشكل كبير على تكوينه النفسي والاجتماعي والعاطفي، كما يشعره بالوحدة والضياع وقلة ثقته بنفسه " فالطفل يتأثر كثيرا بشخصية الأم وصفاتها العامة وأسلوبها في المعاملةفي مراحل حياته الأولى ويستمر هذا التأثر في المراحل الانتقالية الأخرى..."[51]، فالأسرة في هذه الحال هي المسؤول الأول عن تكوين وتنشئة الطفل، ويتجلى أيضا في قوله: " أخته التي احترقت فوق صدر عتيق، وثدي جاف أصبح لا يسيل منه إلا الدم"[52]، ومن تجارب الحرمان أيضا؛ هو ما نجده في قصة " كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء "، فالبطل فيها يواجه العديد من المتاعب؛ أكثرها الحرمان من الزواج بمحبوبته؛ التي حال بينهما الفقر، وشكل له صدمة عاطفية أثرت في نفسيته فأصبح يعيش حالة من الفراغ والضياع والحزن والغربة القاتلة، فيفصح عن هذا في قوله: " كان اسمك غربة وكنتِ سعادتي المسروقة من القتلة "[53].

وتحاول شخصيات المجموعة؛ الخروج من وحدتها والتخفيف من غربتها- بفعل الحرمان الذي تواجهه-باللجوء إلى التخيل والتمني، لتسد بهما أحاسيس النقص والحرمان والفوضى والضياع...؛ والأمور التي تفتقدها في الواقع، وهذا ما نلمحه

في سياق قصة أسماك البر المتوحش "، حيث يلجأ كريمو إلى التخيل لإشباع حاجاته ورغبته في الحصول على الحلوى، فتارة يتخيل نفسه طائرا، نملة...ويتمنى أن يكون له مثلحظها في القدرة الحصول على ماتريد، في هذا السياق يقول: " آه لو كنت طائرا. سأنشر أجنحتي البيضاء فوق كل الأشياء الجميلة..."[54]، وفي سياق آخر " قطعة الحلوى ما تزال في مكانها. حيث جمع من النمل الدقيق بدأ يتآكل فوقها.

فيتلك اللحظة بالذات تمنى لو كان نملة. لو يصبح طائرا. نورسا أبيض. ينشر جناحيه الواسعتين فوق كل الأشياء الجميلة..."[55]، من خلال هذين المقطعين تلاحظ الباحثة؛ أن البطل دائما ما يستحضر الطيور في لحظات تخيله؛ فهي إشارة إلى هروبه من قيود الواقع وتوقيه للحرية – التي تتصف بها الطيور–، والأمر نفسه في قصة " كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء"، حيث نجد أن البطل يهرب دائما إلى عوالم الخيال؛ ليعوض به حرمانه من الارتباط بكاتيا وابتعاده عنها، ونراه متجليا في قوله: " تمنينا العناق وحلمت ذات ليلة أني حبلت بك. وظللت يوما عن يوم انتظر لحظة الولادة"[56]، فالخيال في هذه الحالة؛ آلية لتعويض وتخفيف الغربة والألم النفسي الناجم عن الحرمان.

5-2العنف واحتقار الذات

كما تُظهر القصة؛ سلوكيات أخرى منها العنف أوالعدوانية؛ وهو عامل من عوامل الاغتراب النفسي، يؤثر في شخصية الفرد، لكن؛ قد يكون في كثير من الأحيان نتيجة للكبت الناجم عن الضغوطات والتراكمات النفسية والاجتماعية،وأحاسيس والضيق ...وغيرها، فكانت قصة "أسماك البر المتوحش" من بين القصص تطرقا لهذه الظاهرة، ويتجلى ذلك في عدة مقاطع، يقول السارد متحدثا عن كريمو: " أخذ يعصر الفرشاة التي ضمخها بالدهان ضغط. ضغط أكثر على الحذاء، مستعملا جزءا كبيرا من قواه"[57]، وفي قوله أيضا: " ضغط أكثر على الحذاء. فجاءته ضربة على رأسه"[58]، يظهر في هذين المقطعين السلوك العدواني لشخصية كريمو، الذي استعمله كوسيلة للانتقام وتفريغ المكبوتات والهموم التي يحملها قلبه الصغير، كذلك يعد هذا السلوك تعبيرا عن غضبه واستياءه من عدم تقدير واحترام الرجل له، حيث يتصرف معه باحتقار وازدراء بسبب وضعه المادي، زيادة على ذلك توجيه كلمات قاسية بذيئة أثرت على نفسية الطفل ودفعته لاستخدام العنف كسلوك انتقامي، من المقاطع التي تجسد العنف اللفظي قوله: " يا هذا الجرو، ألم تسمع؟ قلت لكإبدأ"[59]، وفي قوله:" العمى، لو يتمزق الحذاء، تشريه أمك يا وحد الفرخ"[60]، في عبارة أخرى: " نعم. تقول يا جرو الخلاء... تضحك يا واحد الموسخ؟ أحنى رأسه خاف أن يضربه أن يصرخ في وجهه، أن يعضه كالكلبة العجوز التي التهمته في اليد اليسرى السنة الماضية. ويسمعه كل الكلمات البذيئة التي عرفت على وجه الأرض الواسعة التي ضيقوها حتى أصبحت على شكل حذاء من الميكا"[61]، فهذه السلوكيات العدوانية لها أثرها الكبير على الأفراد وخاصة فئة الأطفال، حيث يترتب عنها العديد من الأمراض النفسية؛ كالإحساس بالنقص وفقدان الثقة، فشخصية كريمو هنا شخصية ضعيفة قوية في آن؛ فهو يملك شجاعة داخلية لكنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه واسترداد حقه، فيلجأ إلى العنف –وفي أغلبه عنف داخلي – لتخفيف الضغوط النفسية والعقد الداخلية " تمنى لوكان قنبلة انزلقت إلى بطن هذا المخلوق الذئب ثم انفجرت بقوة "[62]، كما قد يكون العنف عند كريمو بسبب الاستياء وعدم الرضا عن الوضع، ورفضه لهذه المهنة – تلميع الأحذية – التي يرى بأنها لا تحظى بالتقدير مقارنة بالوضع الاقتصادي للزبون؛ مما يعزز شعوره بالاغتراب.

ومن الجوانب النفسية الدالة على الاغتراب النفسي؛ الشعور بالدونية واحتقار الذات، وهو تفكير سلبي يشعر به الفرد تجاه ذاته؛ نتيجة التجارب والتأثيرات التي يواجهها في محيطه، كأن يشعر بالفشل في تحقيق الهدف، الإحساس بالإهمال والتهميش وانعدام قيمة الذات، وقد يكون بسبب الشعور بالعار والخجل من مواقف معينة؛ مثلما حدث مع كريمو تجاه التصرف السلبي من طرف أمه، يظهر هذا في قوله: " ولكني كريمو ولد جلول العامل وعيشة الـ. التي أصبح يزورها كثيرا. الرجال الغامضون"[63].

يمكن أن يزيد عدم حصول التقدير والاعتبار وغياب الدعم الاجتماعي والاحساس بالتميز والنفعية وشعور الفرد بأنه مختلف وأن الآخر أحسن منه، من مشاعر احتقار الذات وفقدان الثقة بالنفس، وعدم الجدوى منه، والشعور بالعجز، ويتجلى هذا في القول: " تمنى لو كان بحرا مملوءبالأسماك الجميلة، يدخله الصيادون بأمان. لو كان باخرة تضم بين أحشائها الناس المسافرين والاحباب. لكنه لوحة. مجرد لوحة قديمة مرمية على شاطئ مهجور"[64]، يعبر المقطع عن عدم رضا الشخصية عن ذاتها والتصالح معها، بذمها والشعور باللامعنى وعدم الجدوى منه كاللوحة القديمة التي لا فائدة منها، مما يزيد من نمو مشاعر القلق والسخط والعزلة والانفصال الذاتي.

5-3:العزلة والخيبة

ومن مظاهر الاغتراب النفسي؛ الشعور بالانطواء والعزلة أي " إحساس الفرد بوجود فجوة نفسية تُباعد بينه وبين أشخاص وموضوعات مجاله النفسي، إلى درجة يشعر معها بافتقاد التقبل والتواد والحب من جانب الآخرين – بحيث يترتب على ذلك حرمان الفرد من أهلية الانخراط في علاقات مثمرة ومشبعة مع أي من أشخاص وموضوعات الوسط الذي يعيش فيه ويمارس دوره من خلاله "[65]، ومن المقاطع التي تنضوي على أحاسيس العزلة منها قول السارد على لسان الشخصيات: " تكوم في حجر أمه، كقطعة قماش بالية"[66]، وكذلك في قوله: " تكوم داخل جلده "[67]، ويضيف بالقول: " تلوى كالحلزون على نفسه"[68]، ترصد المقاطع حالة الانعزال والانطواء التي نشأت من الفجوة بين الشخصية وبين ما يتعرض له من العالم الخارجي، فتتحول الذات إلى كتلة من الصمت، وتميل إلى الانفصال والانغلاق على نفسها بسبب الخيبات المتكررة.

العامل النفسي الآخر؛ يتمثل في الخيبة وفقدان الأمل،حيث تطفو هذه المشاعر في جميع أنحاء المجموعة القصصية، ففي قصة " أسماك البر المتوحش "؛ تظهر مشاعر الخيبة في عدة مشاهد عبر عنها السارد بالقول: " اختلطت الساعات، فتناسلت الأزمنة في عينيه كأمواج البحر، وتكسرت الأحلام "[69]، ويضيف أيضا: " تغمض عينا كريمو. يتفسخ. تصرع الأطيار الجميلة والفراشات التي تلعب تحت جلده الرقيق. يتحول إلى ذرات. تحمله الرياح الحزينة بعيدا. بعيدا. إلى أماكن يراها للمرة الأولى. إلى أراض جافة كصدرأمه لا تنجب إلا الجوع. يتكسر الزجاج في عينيه، تسقط دمعة ملتهبة كالنار "[70]، يصف هذا المقطع خيبة أمل كريموشعوره بالإحباط والخسارة عندما أخذ الزبون وابنته كرسيه بطريقة قسرية دون أخذ موافقته، فالكرسي بالنسبة للطفل شيء مهم وذو قيمة له ولأسرته، وخيبته الثانية من نفسه الضعيفة؛ حيث لم يكن باستطاعته الدفاع عن حقه الذي انتزع منه، ويكمل السارد بالقول في مقطع آخر: " ضرب الحلوى التي صعد فوقها النمل برأس حذائه. تطايرت في الفضاء. انتبه إلى الدينار. تأمله قليلا. هم بضربه هو الآخر لكن شيئا ما وقف بينهما، ربما كان الجوع. انحنى بعياء. أخذه"[71]، يتقاطع هذا المقطع مع المقطع السابق في إحساس الخيبة وفقدان الأمل، عندما لم حصل على حقه كاملا دون مراعات لقيمة جهده، مما يعزز لديه شعور بالإهانة والاحتقاروالاستغلال، علاوة على ذلك فقدان الرضا عن هذه المهنة التي تجلب له المتاعب ولا تكفي حتى لتوفير أدنى متطلبات أسرته، تكرر هذا الشعور– الخيبة–كذلك في قصة " كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء "؛ حيث يتحدث البطل قائلا: " لكن يا كاتيا، اللحظة طالت. حتى أصبحت سفينة، أكلت ربانها البحار"[72]، يصف القول إحساس البطل بالخيبة واليأس من تحقيق حلم الزواج بمحبوبته، لكن رغم أن هذه الشخصية مشحونة بالخيبات والتحديات التي واجهتها إلا أنها مفعمة بالأمل والإصرار على الوصول إلى ما تصبو إليه، أما قصة " لحظات باردة في يوم استوطنته الغربة " تتجلى الخيبة من خلال القول: " نشهد جميعا أمام العصر القادم برایاته العالية، أن مدينتنا كانت خائنة تعلم عشاق ناصيتها الزرقاء ممارسة الهزيمة. وتغتال أحلامنا في عز الظهيرة..."[73]، يعبر المقطع عن خيبة الشخصية من المدينة الضائعة، التي تتربص بقاطنيها وروادها؛ لتستأصل أحلامهم الدافئة، وتحولها إلى لحظات باردة صفراء، يستوطنها اليأس والخيبة وأحاسيس الغربة، وتمتد هذه اللحظات إلى مكان بعيد تجسده قصة " الوشم بالإسفلت"، التي تعبر فيه الشخصية عن خيبتها وضياعها في المدن الغربية، في شوارع باريس ف " الحقيقة تقال: وراء الشواطئ الصفراء كل شيء يغتال في حضرة المواسم الباردة. الليل ها هنا تنين مفقأ العيون، يبحث عن قطرة دم يستنزفها... القمر زنجي يتدحرج في عيونه المطموسة أحلام مكوية[74].

4_ خاتمة:

تعد القصة الجزائرية القصيرة خلال فترتي السبعينات والثمانينات، أحد أشكال التعبير النضالي، إنها صورة حية لواقع المجتمع الجزائري، مما يعكس وعي الكُتاب بالقضايا القومية، في تعبيرهم عن مخلفات حرب التحرير، وقد اتسعت لتشمل الحديث عن خلجات الذات الجزائرية بصراعاتها وتجاربها وتعقيداتها، التي تبحث عن ذواتها المنهوبة، وتتوق للحرية والتحرر التام من أثر الاستعمار، بتجسيدقضايا ومشكلات الانسان الجزائري التي من بينها مشكلة الاغتراب.

لقد استطاع واسيني الأعرج من خلال مجموعته القصصية " أسماك البر المتوحش "؛ أن يقدم لنا تجربة واقعية وصادقة لواقع المجتمع والوطن، بنقل مشكلات المغتربين في المهجر، وتصويرأحاسيس الاغتراب؛ التي سعت الدراسة لكشف أصدائها وتمثلاتها المكانية، وظواهرها الاجتماعية والنفسية.

الهوامش:

[1]– صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي، نقلا عن أحمد خيري حافظ في كتابه: سيكولوجية الاغتراب لدى طلاب الجامعة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة (الصفحة غير مذكورة لهذه الرسالة)، ص: 49.

[2]– محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2013، ص 15.

[3]– آمال عبد المنعم حراسيس: ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2016، ص: 19.

[4]– محمد بازي: العنوان في الثقافة العربية(التشكيل ومسالك التأويل)، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 2012، ص 15.

[5]– رضا عطية: الاغتراب في شعر سعدي يوسف – قراءة ثقافية –، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2018، ص: 151

[6]– أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حققه عبد الرحمان بدوي، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1950،ص:81.

[7]– الاعرج واسيني: أسماك البر المتوحش/ (لحظات باردة، في يوم استوطنته الغربة)، قصص قصيرة كتبت بين 1975–1980 منشورات الجمل، ط1، 2010، ص: 74.

[8]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[9]– المصدر نفسه: ص: 76.

[10]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[11]– المصدر نفسه: ص:78.

[12]–المصدر نفسه: ص: 79.

[13]–" أسماك https البر المتوحش" لواسيني الأعرج...ملهاة الجوع والغربة، مجلة الأيام، العدد9918، السبت 4 يونيو 2016 الموافق 28 شعبان 1437، على الرابط:

https://www.alayam.com/alayam/Variety/582942/News.html

[14]–الأعرج واسيني: أسماك البر المتوحش (باريس.. وأشياء أخرى)، ص: 32.

[15]–المصدر نفسه: ص: 31.

[16]– المصدر نفسه: ص: 36.

[17]–المصدر نفسه: ص: 40

[18]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[19]–المصدر نفسه (الوشم بالإسفلت): ص: 103.

[20]–المصدر نفسه: ص: 107.

[21]– المصدر نفسه: ص: 108.

[22]– المصدر نفسه. ص: 107.

[23]– المصدر نفسه: ص: 105.

[24]– المصدر نفسه: ص: 109.

[25]– المصدر نفسه: (باريس.. وأشياء أخرى) ص: 33.

[26]–المصدر نفسه: ص: 37.

[27]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[28]– المصدر نفسه: (الوشم بالإسفلت)، ص: 104.

[29]– المرجع نفسه: ص: 51.

[30]– الأعرج واسيني: أسماك البر المتوحش، ص: 15.

[31]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[32]– المصدر نفسه: ص: 32.

[33]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[34]– المصدر نفسه (الوشمبالإسفلت)، ص: 104.

[35]– المصدر نفسه: ص: 14.

[36]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[37]–المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[38]– المصدر نفسه: ص: 21.

[39]. المصدر نفسه: ص: 26.

[40]– المصدر نفسه: ص: 23.

[41]– المصدر نفسه. (باريس..وأشياء أخرى)، ص: 33.

[42]– المصدر نفسه: ص: 32.

[43]–المصدر نفسه: (الوشم بالإسفلت)، ص: 108.

[44]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[45]– المصدر نفسه: (كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء)، ص: 77.

[46]– المصدر نفسه: ص: 58.

[47]– المصدر نفسه: ص: 63.

[48]–الأعرج واسيني: أسماك البر المتوحش، ص: 18.

[49]– المصدر نفسه: ص: 20.

[50]–المصدر نفسه: ص: 18.

[51]– دبلة خولة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق – دراسة حالة بعض المراهقين في مدينة – بسكرة – الجزائر، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونية، دار الجنان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ط1، 2015، ص: 93.

[52]– الأعرج واسيني: أسماك البر المتوحش، ص: 21.

[53]– المصدر نفسه: (كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء)، ص: 57.

[54]– المصدر نفسه: ص: 15.

[55]– المصدر نفسه: ص: 19.

[56]– المصدر نفسه: ص: 58.

[57]– المصدر نفسه: ص: 16.

[58]– المصدر نفسه: ص: 17.

[59]– المصدر نفسه: ص: 15.

[60] المصدر نفسه: ص: 17.

[61]- المصدر نفسه: ص: 22.

[62]- المصدر نفسه: ص:19.

[63]- المصدر نفسه: ص: 15.

[64]" المصدر نفسه: ص: 17.

[65]- قشقوش إبراهيم زكي علي: خبرة الإحساس بالوحدة النفسية، حولية كلية التربية (محكمة)، جامعة قطر، ع2، 1983، ص: 191.

[66]- الأعرج واسيني: أسماك البر المتوحش، ص: 27.

[67]. المصدر نفسه: ص: 13.

[68]- المصدر نفسه: (باريس وأشياء أخرى)، ص: 38.

[69]- المصدر نفسه: ص: 15.

[70]- المصدر نفسه: ص:24.

[71]_ المصدر نفسه: ص: 26.

[72]- المصدر نفسه: (كاتيا.. متاعب الإقامة في العراء)، ص: 58.

[73]- المصدر نفسه: (لحظات باردة في يوم استوطنته الغربة)، ص: 78.

[74]- المصدر نفسه: (الوشم بالإسفلت)، ص: 105.